الخـــــــــــــاتمة

لم يكن الشعر العربي المعاصر بمنأى عن التحولات الكبرى التي شهدتها المنطقة العربية – في تاريخِها الحديث والمعاصر - فقد كانت هذه التحولاتُ عاملًا من عوامل تطور هذا الشعرِ - في الرؤى الفكرية وطرائق التشكيل الفنّي – أمَّا العامل الآخر ، فهو الثراءُ والعمقُ الثقافي الذي تميز به الشاعر العربي المعاصر ؛ حيثُ اغتذى من روافد التراث ، والثقافة المعاصرة - في مصادرها الغربية والشرقية – وقد ساهم هذا الزخمُ الثقافي في تعميق درجة وعي الشاعر المعاصر بالواقع ، وتعميق وعيه برسالته الشعرية : تنويرًا وتثويرًا – فنيًّا - جماليًّا . وقد بدت الفروق واضحةً بين شعراء الاتجاهين - الواقعي والحداثي – في زاوية الاهتمام بمشكلات الواقع ؛ فبينما انصبّ اهتمامُ الشاعر الواقعي بالقضايا الآنية - في المقام الأول - كان الشاعر الحداثي مصرًّا على رفض - وتجاوز – مفهوم رسالة الشعر والتزام الشاعر- ؛ منشغلًا بالطرح الشعري حول إشكالية التأزم الحضاري -ومأزق الوضعية العربية – كما اختلف شعراءُ الاتجاهين – حول رؤى الخلاص الحضاري ؛ فقد كانت العودة إلى الذات– والهوية – هو الطريق الأمثل لاستعادة الكينونة العربية - في رؤية الشاعر الواقعي -أما الشاعر الحداثي فقد طرح الخلاص الحضاري ماثلًا في تحطيم السائد – وهدم الثوابت والخروج من الجذور - ومن ثمَّ تبني المشروع الحضاري الغربي .

وفيما يتعلقُ بخصائص التشكيل الفني – أو طرائقه - فقد تطورت هذه الطرائقُ ؛ نتيجةَ ارتكاز الشاعر المعاصر على مزج الشاعر المعاصر بين تخيراته الفنية من طرق الأداء الشعري التراثي وبين تخيراته من التقنية الفنية البصرية كالسينما والفن التشكيلي، كذلك تطورت الصورة الموسيقية لهذا الشعر حين استثمر الشعراء قابلية النمط الموسيقي الخليلي لتوليدِ وحدات تفعيلة متحرّرة من الإيقاع الزمني للبحر – في هئتيه التقليدية – بما دفع الشاعر المعاصر إلى توظيف هذه القابلية لتحقيق الانسجام – والصدق الفني – بين الهيئة الموسيقية – التفعيلية – وبين المناخ الشعوري والفكري في التجربة الشعرية . فضلا عن ذلك أضاف الشاعر إلى هذا التنوع الموسيقي طرقا من الإيقاع الإيحائي عن طريق توظيف الأصوات

والأساليب وعلامات الترقيم وهيئات الشكل الطباعي ؛ بما جعل القصيدة المعاصرة قصيدة مرتكزة على الإيقاع– بدلالته المُتسعة الرحبة - لا على الموسيقى.

لقد توحدت التجربة الشعرية بعناصر تعبيرها في القصيدة المعاصرة إلى حد صعبَ فيه الفصلُ – ولو ظاهريًّا - بين عناصر التعبير - كاللغة و الصورة والإيقاع الموسيقي والبنية الفنية - وكان الاضطرار لهذا – خضوعًا لمتطلبات الدراسة وعدد الصفحات - مجهدا ؛ بما يدل علىاتسام القصيدة المعاصرة بالصدقِ الفنّي، وعلى انطلاقِها إلى تطوير طرق الأداء الفني من منطلق الانشغال بالوصول إلى أقصى الإمكانات الفنية القادرة على تجسيد التجربة الشعرية . . وقد كانت الفروق قائمة بين الاتجاهين الواقعي والحداثي في درجة التمرد الفني، وفي مدى الإفادة من طرق الأداء الفني للشعر الغربي- ومن ثم في مدى المخالفة للذائقة الشعرية العربية - حيث كان شعراء الاتجاه الواقعي هم الأحرص على وشيجتهم بالتراث، وهم الأكثر جذبا لذائقة المتلقي ؛ ذلك أنهم لم يعمدوا إلى طرق فنية تستنفره أو تغمض عليه، ولأنهم في ذات الوقت حافظوا على ظلال من الغنائية الشعرية العربية القديمة بحيث بدت القصيدة الواقعية - في أقصى مدى من التجديد الفني - ذات سمت عربي لا يخفى ، أما القصيدة الحداثية فكان أداؤها الفني أكثر مخالفة للذائقة الشعرية العربية وأكثر مغالاة في طلب التجديد دون اهتمام بالمواصفات الشعرية العربية القائمة، بل لقد اعتبر بعض الحداثيين أن هذه المواصفات تقف عائقاً أمام تطور القصيدة العربية رؤية وفنية. وقد شكلت هذه الفروق التي أشرنا إليها والقائمة بين الاتجاهين الشعريين الواقعي والحداثي سواء على صعيد الرؤى الفكرية أو الطرح الفني – شكلت- مادة ثرية للصراع بين القديم والجديد، فقد تعرض الواقعيون لانتقادات الحداثيين وتعرض الحداثيون لانتقادات الواقعيين، وفي الوقت نفسه كان كل اتجاه منهما طرفا في صراع آخر نموذج من نماذج الفكر التقليدي الرافض للتجديد الإبداعي أو التطور الفكري، وكان هذا الصراع استمرارا لمعركة التجديد التي قامت في الثلاثينيات والأربعينيات حول قضية التجديد الرومانسي لولا أن صراع شعرائنا المعاصرين حول التجديد أكثر حدة وأكثر تفاصيل وأعمق قضايا. ومع ذلك فقد كان الخلاف حول التجديد سواء في المرحلة الرومانسية أو الواقعية والحداثية مثيرا لكثير من الإشكاليات المتعلقة بموضوع هذه الدراسة مثل إشكالية كيفية التعامل مع التراث من جهة، ومدى أحقية التراث في الهيمنة على الطرح الفكري والفني في الشعر المعاصر ومدى حدود الشاعر على الانفلات من قبضة الموروث بما لا يعد قطيعة، ومدى حدوده في الإفادة بما لا يعد استنساخا من هذا التراث وذا الشيء فيما يخص كيفية الإفادة فنيا وفكريا من الغرب بما لا يؤدي إلى التبعية المطلقة للغرب أو إلى الانعزال الثقافي. ومن ثم

نستطيع القول بأنه على الرغم مما يبدو من مغالاة الاتجاه الحداثي في الإفادة من التكنيك الشعري للقصيدة الغربية، ورغم أن هذه الإفادة حالت بين الشعر الحداثي والمتلقي العربي وفرضت حصارا على هذا الشعر فإننا نستطيع أن نقول أن الشاعر المعاصر الحداثي والواقعي شاعر مهموم بالأنا في واقعنا الآني والحضاري، وأن القصيدة العربية المعاصرة طالعة من حاجات الأنا وهمومها متوجهة للتعبير عن هذه الحاجات والهموم والأحلام حتى أن ما يبدو من تطرفها في الإفادة من الغرب يمكن أن يبدو لونا من ألوان الغضب (الفني) والرفض التعبيري لجمود الأنا وركودها في وجه الصراعات العالمية والتحديات الحضارية الحالية. وبذا يظل الشعر صوت الضمير: ضمير الشاعر والضمير الجماعي، ويبقى الشاعر حداء القافلة ورائيها ومنشدها وحكيمها والثائر لها، وعليها في سبيل البحث عن غد أفضل وحلم قريب الاكتمال.

د. كاميليا عبد الفتاح .